واقع المسلمين

وسبيل النهوض

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقا

الميراث النبوي للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد: فإنّ أحوال المسلمين تقلق النّفس وتقطّع النفوس حسرات؛ ذلك أنّ الأمراض قد فتكت بهم؛ العقديّة والمنهجية والسياسية، وقل ما شئت من الأمراض، والعلاج بين أيديهم، لكنهم لا يريدون هذا العلاج إلّا من شاء الله، ويذهبون يبحثون عن العلاجات من هنا وهناك. والعلاج الصحيح الذي قدّمه لهم ربّ العالمين قلّ من يلتفت إليه مع الأسف الشديد، فاللهُ وصف هذا القرآن بأنّ فيه شفاءً؛ ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢] هو شفاء لهذه الأمراض - إي والله-.

واللهِ لا علاج لهم ولا مخرج لهم ممّا هم فيه من ذلٍّ وهوانٍ وغثائية إلّا أن يرجعوا إلىٰ هذا الكتاب فيحكّموه في عقائدهم وفي عباداتهم وفي مناهجهم وفي سياساتهم وفي كلّ شأن من شؤونهم، لا علاج لهم إلّا هذا، ومع الأسف الأطباءُ الذين يقدّمون العلاج مساكين يحيدون عن هذا العلاج، ويذهبون إلىٰ العلاجات المسمومة الفتّاكة التي لا تزيدهم إلّا بلاءً وذلًّا وهوانًا.

الرسول -عليه الصلاة والسلام- تحدّث عن هذه الأوضاع المترديّة المنحطّة التي ستنزل بالأمّة، وفي نفس الوقت قدّم لهم العلاج-عليه الصلاة والسلام-، وقعوا في الأمراض والأدواء والغثائية -وقلّ من يريد العلاج- وإذا صاح بهم من يريد لهم الخروج ممّا هم فيه من ذلٍّ وهوانٍ وأمراض لا يسمعون له ولا يلتفتون إليه، بل يحاربونه مع الأسف الشديد.

الذي يقول كلمة الحقّ ويدعو إلىٰ كتاب الله وإلىٰ سنّة رسول الله وإلىٰ تخليص النّاس من هذه المشاكل والضلالات والبدع التي أوقعتهم في الذلّ والهوان والغثائية يُحَارب أشدّ الحرب، يُحَارب ممن يلبسون لباس الإصلاح وهم يقودون الأمّة إلىٰ الهلاك والدمار، وما نسمع استجابة لهذه الأصناف.

يا أمّة الإسلام أين التّوحيد الصحيح؟ أين العقائد الصحيحة؟ أين المنهج الصحيح؟ الأمور التي تجمع المسلمين، المسلمون جميعًا يجب أن يكونوا علىٰ عقيدة

واحدة وعلىٰ منهج واحد، ولا يتوفر ذلك إلّا في كتاب الله وفي سنّة رسول الله ﷺ وفيما كان عليه سلفنا الصالح؛ الذين آمنوا بالله ﷻ وبكتابه ورسله وبكلّ قضايا الإيمان والإسلام وطبّقوها في حياتهم؛ عقائد وعبادات وأعمال وسلوك وجهاد وإلىٰ آخر شؤون الحياة «**لا يَصلُح آخر هذه الأمّة إلّا بما صلح به أولها**»[1] مهما نَشَدَتْ الإصلاح، الإصلاح من هنا وهناك؛ الإصلاح الآن ديمقراطية، الآن العلاج عندهم الديمقراطية؛ الإصلاح والإصلاحيّون، والإصلاح والإصلاحيّون، ويجتمع الرّوافض والباطنيّة والعلمانيّون والكتابيون وإلىٰ آخره علىٰ هذا الإصلاح، يجتمعون علىٰ هذا!

ومتفقون عليه وما يريدون غيره أبدًا، لا يريدون غير هذا الذي يدعون إليه، هذا هو الإصلاح الذي يأتي من أوربا ومن أمريكا يأتي من بوش ومن شارون، هذا هو الإصلاح وهذا هو

---

(1) تروىٰ هذه المقولة عن الإمام مالك رحمه الله من قوله؛ انظر: الشفا للقاضي عياض (٢/ ٨٧-٨٨) واقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٧٦٣- العقل).

العلاج!! والصحف والمجلات والمواقع وإلىٰ آخره لا تجد إلّا النزر القليل الذي يصدع بكلمة الحقّ ويدعو إلىٰ العلاج الشافي، يقول رسول الله ﷺ: « **يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَىٰ عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَىٰ الْأَكَلَةُ إِلَىٰ قَصْعَتِهَا فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**»[1]؛ نُزِعت المهابة من صدور الأعداء، وقُذِف الوهن في قلوب المسلمين إلىٰ أن وصلوا إلىٰ حضيض الغثائية، وما يريدون أن يخرجوا من هذا، ومع الأسف كثيرٌ من علمائهم وأطبائهم يريدون الإصلاح، الإصلاح، حوار الأديان، أخوّة الأديان، تقديس الأديان، قداسة الأديان وإلىٰ آخره، يُهانُ الرسولُ ﷺ ونحن نقول: هاتوا لنا العلاج! هاتوا لنا الحماية! يا هيئة الأمم احمينا!

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٢٧٨(٢٢٧٦٠) وأبو داود برقم (٤٢٩٧)، من حديث ثوبان رضي الله عنه. وصححه الألباني في الصحيحة (٢/ ٦٤٧- ٦٤٨) برقم (٩٥٨).

خلّي ديننا ورسولنا مع الأديان الفاسدة، خلّوه في ذيل هذه الأديان!! مع الأسف الشديد، المسلمون الآن يُذَبَحون في العراق ولا صوت يرتفع، أهل السنّة يُذَّبحون في العراق وما تسمع كلامًا أبدًا، وحُرِّقت المساجد وهُدِّمت علىٰ أيدي الباطنية والروافض ودِيست المصاحف ولا كلام، كيف؟ لأنّه غثاء، غثاءٌ واللهِ.

لابد أن نعتصم بحبل الله، لابدّ أن نتّبع كتاب الله، لابدّ أن نطيع أوامر الله، ولابدّ أن نستجيب لدعوة الله، لابدّ أن نكون مسلمين ظاهرًا وباطنًا، نطبّق هذا الدّين الحقّ من ألفه إلىٰ يائه، أصحاب الرسول ﷺ كانوا في ذلّةٍ وقلّة، لكن بإخلاصهم وصدقهم وتمسكهم بكتاب ربّهم وسنّة نبيِّهم نصرهم الله ﷻ علىٰ أقوىٰ الدول وأعتاها في ذلك الوقت، كانوا أقلّ الناس عددًا وأقلّهم عدّة وإلىٰ آخره.. جمعهم الله تبارك وتعالىٰ علىٰ كتاب الله وعلىٰ سنّة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-.

أنا كنت في المدينة في المسجد النّبوي وأذكر قول النبي ﷺ: «**أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَىٰ، يَقُولُونَ يَثْرِبُ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ تَنْفِي**

النَّاسَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»[1]، تأكل القرىٰ، كيف؟ المدينة قرية فتحت الدنيا كلّها، وكان أهلها في مسجد لا يساوي جزءًا من خمسين جزء من هذا المسجد الموجود الآن، انظر المسجد النبوي الآن مليء من الساحات، ومليء من الأمم وهم غثاء، وفي ذلك الوقت مسجد الرسول ﷺ وقرية الرسول -عليه الصلاة والسلام-؛ مسجد الرسول صغير لا يأتي ولا جزء من خمسين جزء من مسجد اليوم، فتح الله بهم الدنيا بصدق الإيمان والإخلاص والتّوكل علىٰ الله ﷻ؛ ما فتحوا الدنيا بقوتهم وإنّما بنصر من الله وتأييد منه ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

يا أمّة الإسلام عليكم بالتّوحيد الذي حواه القرآن والذي جاء به جميع الأنبياء، بلدان المسلمين تنتشر فيها القبور والخرافات والضلالات والبدع وإلىٰ آخره؛ كيف يأتيهم النّصر؟ وكيف تأتيهم العزّة وهم ما تركوا بابًا من أبواب الذلّ

---

(1) قطعة من حديث أخرجه مالك في الموطأ برقم (٥٥٣) وأحمد: ٢/ ٢٣٧ (٧٢٣١) و ٢/ ٢٤٧(٧٣٦٤) و ٢/ ٣٨٤ (٨٩٧٢) والبخاري برقم (١٨٧١) ومسلم برقم (١٣٨٢)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إلّا وطرقوه -والعياذ بالله- ولا بابًا من أبواب العزّة والسعادة والسيادة والكرامة إلّا وتحايده الكثير، ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣] كلّكم اعتصموا بحبل الله، ما هو حبل الله؟ كتاب الله وسنّة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، هذا أمرٌ لجميع الأمّة، هل الأمّة استجابت الآن لهذا الأمر؟

هل الأمّة الآن معتصمة بحبل الله في عقائدها وعباداتها ومناهجها ونشاطاتها؟

كلَّا واللهِ، قليل؛ قليل جدًّا الذين يدعون إلىٰ هذا المنهج وإلىٰ الاعتصام بحبل الله ﷻ مع الأسف، والباقون واللهِ يحاربون هذا المنهج وهذه الدعوة.

أنا أعرف يا أولادي؛ وأنتم ما تعرفون؛ نحن كنّا في هذا البلد طلّاب علم يرحل طالب العلم من جنوب المملكة إلىٰ شمالها ومن شرقها إلىٰ غربها ما نجد طلّاب العلم والعلماء إلّا إخوةً علىٰ منهج واحدٍ، وكنت طالب علم في الجامعة الإسلامية ومدرِّسًا وإلىٰ آخره ونزلت مكّة لأكمِّل دراستي

يلتقي السلفيّون أهل الحديث والسلفيون من هنا كلّهم علىٰ قلب رجلٍ واحدٍ لا خلاف بينهم في المناهج ولا في أيّ شيء من الأشياء، طبعًا قد تكون أشياء جزئية خفيفة هذا ما يخلو حتىٰ زمن الصحابة، لكن المنهج والعقيدة وأمور الحياة كلّها حتّىٰ السياسة تجدهم علىٰ منهج واحد لا خلاف بينهم، ثم جاء الشيطان ينزغ بينهم وجاء أهل الفتن ونفثوا السموم والفرقة والتّمزيق فمزّقوهم شرّ ممزَّق في مشارق الأرض ومغاربها، كانوا جماعة واحدة علىٰ كتاب الله وعلىٰ سنّة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، تجدهم الآن متفرقين؛ تجد الشباب في هذه البلاد متفرقين متناكرين مع الأسف الشديد، ليس هناك محبّة ولا مودّة ولا تآلف ولا تآخيوليس هناك تحكيم لله - إلا من رحم الله-؛ كلّ واحد يحكِّم عاطفته، ويشحنونه بأفكار ما يريدُ أن يغيّرها ولا أن يعرف أنّه علىٰ خطأ أو علىٰ حقّ.

أنا أقرأ في البخاري[1] كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَىٰ ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ وَكَانَ مِنْ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ يَا ابْنَ أَخِي هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ قَالَ سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَاسْتَأْذَنَ الْحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ هِيْ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ فَوَاللهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّىٰ هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ وَإِنَّ هَذَا مِنْ الْجَاهِلِينَ وَاللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ»، هدأ غضبه، ذهبت عنه سَوْرَة الغضب وعفا عن هذا الإنسان كما أمره الله تبارك وتعالىٰ.

الشاهد من هذا أنّ ابن عباس يشهد لعمر أنّه كان وقّافًا

---

(1) في صحيحه: كتاب التفسير باب قوله تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ برقم (٤٦٤٢).

عند كتاب الله ﷻ.

عمر كان محدَّثًا، كان فقيهًا إمامًا، لكن قد يجتهد فيخطئ، وإذا نبّهه أحدٌ رجع، وقّاف عند كتاب الله.

وله قصّة أخرىٰ رضي الله عنه؛ قال أبو وائل: «جلست إلىٰ شيبة-يعني الحَجَبي[1]؛ كانت مفاتيح الكعبة عنده، ولا تزال عند بني شيبة في الجاهلية والإسلام، الرسول ﷺ أعطاهم مفاتيح الكعبة- قال أبو وائل: جَلَسْتُ إِلَىٰ شَيْبَةَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ قَالَ: جَلَسَ إِلَيَّ عُمَرُ فِي مَجْلِسِكَ هَذَا فَقَالَ: لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أَدَعَ فِيهَا صَفْرَاءَ وَلَا بَيْضَاءَ إِلَّا قَسَمْتُهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ قُلْتُ مَا أَنْتَ بِفَاعِلٍ قَالَ لِمَ قُلْتُ لَمْ يَفْعَلْهُ صَاحِبَاكَ قَالَ: **هُمَا الْمَرْءَانِ يُقْتَدَىٰ بِهِمَا**»[2]، وقف. الأمثلة كثيرة في حياة عمر رضي الله عنه في وقوفه عند كتاب الله وعند سنّة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-.

لكن الآن، هل نحن وقّافون عند كتاب الله؟ يا أخي:

---

(1) بفتح المهملة والجيم ثم موحدة نسبة علىٰ حجب الكعبة. قاله ابن حجر رحمه الله في فتح الباري (٣/ ٥٥٤). - ط التقوىٰ- مصر.

(2) أخرجه أحمد: ٣/ ٤١٠ (١٥٤٥٧و١٥٤٥٨) والبخارِي برقم (٧٢٧٥).

لا بدّ للواحد أن يحاسب نفسه ويقول: هل أنا علىٰ حقّ أو علىٰ خطأ في القضية الفلانية والقضية الفلانية؟ هل أنا علىٰ حقّ أو علىٰ خطأ؟

لا يصل إلىٰ الحقّ إلّا إذا استسلم لله وانقاد لله ﷻ وحكّم كتاب الله في نفسه وحكّم سنّة رسول الله ﷺ في نفسه فحينئذ يمكن أن يكون وقّافا، يمكن أن يكون رجّاعًا للحقّ، لكن إذا أرسل لنفسه العنان فلا يقف في وجهه شيء لا كتاب ولا سنّة رسول الله ﷺ؛ فإن الباطل سيستولي عليه.

فأنا أنصح نفسي وأنصح أبنائي وأنصح إخواني وأنصح زملائي وأنصح من يخالفني أن نتقي الله في أنفسنا وفي هذه الأمّة وفي هذا الشباب، فنحكِّم كتاب الله ونجمعهم علىٰ كتاب الله وعلىٰ سنّة رسول الله ﷺ، ونربّي أبناءنا في مساجدنا ومدارسنا وبيوتنا علىٰ هذه الأمور وعلىٰ هذا المنهج، وأن نتقي الله في الأهواء والأغراض، فإنّها والله شتّتت الأمّة وشتّتت الشباب.

كان الصحابة كلّهم وقّافين عند كتاب الله، وكان السلف

الصّالح كلهم وقافين عند كتاب الله، والذي يخطئ يرجع، والذي يذنب يتوب، كان الرجل يزني في عهد الرسول ﷺ والمرأة تزني؛ فلا يقرّ لأحدهم قرار ولا يستريح أبدًا إلّا أن يذهب إلىٰ رسول الله ﷺ ويعترف ويقول: أقم عليّ الحد، ويقول رسول الله ﷺ: لعلك كذا، لعلك كذا، فيقول: لا[1]؛

---

(١) كما ورد في قصة توبة ماعز بن مالك والغامدية رضي الله عنهما، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ؛ أَنَّ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ الأَسْلَمِيَّ أَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَزَنَيْتُ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي، فَرَدَّهُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ، فَرَدَّهُ الثَّانِيَةَ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ قَوْمِهِ، فَقَالَ: أَتَعْلَمُونَ بِعَقْلِهِ بَأْسًا ؟ تُنْكِرُونَ مِنْهُ شَيْئًا ؟ فَقَالُوا: مَا نَعْلَمُهُ إِلاَّ وَفِيَّ الْعَقْلِ، مِنْ صَالِحِينَا فِيمَا نُرَىٰ، فَأَتَاهُ الثَّالِثَةَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ أَيْضًا، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ لاَ بَأْسَ بِهِ، وَلاَ بِعَقْلِهِ، فَلَمَّا كَانَ الرَّابِعَةَ، حَفَرَ لَهُ حُفْرَةً، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ.

قَالَ: فَجَاءَتِ الْغَامِدِيَّةُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ فَطَهِّرْنِي، وَإِنَّهُ رَدَّهَا، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ تَرُدُّنِي ؟ لَعَلَّكَ أَنْ تَرُدَّنِي كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزًا، فَوَاللهِ إِنِّي لَحُبْلَىٰ، قَالَ: إِمَّا لاَ، فَاذْهَبِي حَتَّىٰ تَلِدِي، فَلَمَّا وَلَدَتْ، أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي خِرْقَةٍ، قَالَتْ: هَذَا قَدْ وَلَدْتُهُ، قَالَ: اذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّىٰ تَفْطِمِيهِ، فَلَمَّا فَطَمَتْهُ، أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةُ =

أبدًا، يعترف؛ لأنّه لا يرتاح أبدًا ويكره الحياة، لماذا؟ لأنهم أناس استسلموا لله، وليسوا بمعصومين، نحن لسنا بمعصومين كلّنا نقع في الأخطاء، لكن يجب علىٰ الإنسان أن يتوب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

وقعتَ في الخطأ؛ في العقيدة، في المنهج، في السلوك، في العبادة في شيء.

ارتكبتَ خطأً فباب التّوبة مفتوح وليس من العار، بل الأنبياء يخطئون ويرجعون[1]، الأنبياء يخطئون ويرجعون؛

=

خُبْزٍ، فَقَالَتْ: هَذَا يَا نَبِيَّ اللهِ، قَدْ فَطَمْتُهُ، وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ، فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَحُفِرَ لَهَا إِلَىٰ صَدْرِهَا، وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَجَمُوهَا، فَيُقْبِلُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ، فَرَمَىٰ رَأْسَهَا، فَتَنَضَّحَ الدَّمُ عَلَىٰ وَجْهِ خَالِدٍ، فَسَبَّهَا، فَسَمِعَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ سَبَّهُ إِيَّاهَا، فَقَالَ: مَهْلًا يَا خَالِدُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً، لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَصَلَّىٰ عَلَيْهَا وَدُفِنَتْ. أخرجه أحمد ٥/ ٣٤٧ (٢٣٣٣٠) و٥/ ٣٤٨ (٢٣٣٣٧) ومسلم برقم (١٦٩٥).

(1) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ مَعْصُومُونَ مِن الإِقْرَارِ عَلَىٰ الذُّنُوبِ كِبَارِهَا وَصِغَارِهَا وَهُمْ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ =

=

بِهِ عَنْهُمْ مِنْ التَّوْبَةِ يَرْفَعُ دَرَجَاتِهِمْ وَيُعَظِّمُ حَسَنَاتِهِمْ فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ نَقْصًا؛ بَلْ هِيَ مِنْ أَفْضَلِ الكمالات وَهِيَ وَاجِبَةٌ عَلَىٰ جَمِيعِ الْخَلْقِ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ﴾ فَغَايَةُ كُلِّ مُؤْمِنٍ هِيَ التَّوْبَةُ ثُمَّ التَّوْبَةُ تَتَنَوَّعُ كَمَا يُقَالُ: حَسَنَاتُ الأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقَرَّبِينَ. وَاَللهُ تَعَالَىٰ قَدْ أَخْبَرَ عَنْ عَامَّةِ الأَنْبِيَاءِ بِالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ: عَنْ آدَمَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَغَيْرِهِمْ. فَقَالَ آدَمَ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ وَقَالَ نُوحٌ: ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ وَقَالَ الْخَلِيلُ: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ وَقَالَ هُوَ وَإِسْمَاعِيلُ: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ﴾ وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ -سبحانه وتعالىٰ- تَوْبَةَ داود وَسُلَيْمَانَ وَغَيْرِهِمَا مِنْ الأَنْبِيَاءِ وَاَللهُ تَعَالَىٰ ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ وَفِي أَوَاخِرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ

=

=

أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي افْتِتَاحِ الصَّلَاةِ: «اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْت بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنْ الدَّنَسِ اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ وَالْمَاءِ الْبَارِدِ » وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَاءِ الِاسْتِفْتَاحِ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لا إِلَهَ إلا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُك ظَلَمْت نَفْسِي وَاعْتَرَفْت بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا إنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أَنْتَ» وَفِي الصَّحِيحِ أَيْضًا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّهُ وَجِلَّهُ عَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ» وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي هَزْلِي وَجِدِّي وَخَطَئِي وَعَمْدِي وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْت وَمَا أَخَّرْت وَمَا أَسْرَرْت وَمَا أَعْلَنْت وَمَا أَسْرَفْت وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لا إلَهَ إلا أَنْتَ». وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ فَتَوْبَةُ الْمُؤْمِنِينَ وَاسْتِغْفَارُهُمْ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ حَسَنَاتِهِمْ وَأَكْبَرِ طَاعَاتِهِمْ وَأَجَلِّ عِبَادَاتِهِمْ الَّتِي يَنَالُونَ بِهَا أَجَلَّ الثَّوَابِ وَيَنْدَفِعُ بِهَا عَنْهُمْ مَا يَدْفَعُهُ مِنْ الْعِقَابِ. فَإِذَا قَالَ الْقَائِلُ: أَيُّ حَاجَةٍ بِالْأَنْبِيَاءِ إلَى الْعِبَادَاتِ وَالطَّاعَاتِ ؟ كَانَ جَاهِلا؛ لأَنَّهُمْ إنَّمَا نَالُوا مَا نَالُوهُ بِعِبَادَتِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ فَكَيْفَ يُقَالُ:

=

=

إِنَّهُمْ لا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهَا فَهِيَ أَفْضَلُ عِبَادَتِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ. وَإِذَا قَالَ الْقَائِلُ: فَالتَّوْبَةُ لا تَكُونُ إلا عَنْ ذَنْبٍ وَالاسْتِغْفَارُ كَذَلِكَ قِيلَ لَهُ: الذَّنْبُ الَّذِي يَضُرُّ صَاحِبَهُ هُوَ مَا لَمْ يَحْصُلْ مِنْهُ تَوْبَةٌ فَأَمَّا مَا حَصَلَ مِنْهُ تَوْبَةٌ فَقَدْ يَكُونُ صَاحِبُهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ أَفْضَلَ مِنْهُ قَبْلَ الْخَطِيئَةِ كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: كَانَ داود بَعْدَ التَّوْبَةِ أَحْسَنَ مِنْهُ حَالا قَبْلَ الْخَطِيئَةِ، وَلَوْ كَانَتْ التَّوْبَةُ مِنْ الْكُفْرِ وَالْكَبَائِرِ؛ فَإِنَّ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ هُمْ خِيَارُ الْخَلِيقَةِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ وَإِنَّمَا صَارُوا كَذَلِكَ بِتَوْبَتِهِمْ مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ الْكُفْرِ وَالذُّنُوبِ وَلَمْ يَكُنْ مَا تَقَدَّمَ قَبْلَ التَّوْبَةِ نَقْصًا وَلا عَيْبًا؛ بَلْ لَمَّا تَابُوا مِنْ ذَلِكَ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانُوا أَعْظَمَ إيمَانًا وَأَقْوَىٰ عِبَادَةً وَطَاعَةً مِمَّنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ». مجموع الفتاوىٰ (١٥/ ٥١-٥٤).

وقال في موضع آخر: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُنْحَرِفِينَ فِي مَسْأَلَةِ الْعِصْمَةِ عَلَىٰ طَرَفَيْ نَقِيضٍ كِلاهُمَا مُخَالِفٌ لِكِتَابِ اللهِ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ: قَوْمٌ أَفْرَطُوا فِي دَعْوَىٰ امْتِنَاعِ الذُّنُوبِ حَتَّىٰ حَرَّفُوا نُصُوصَ الْقُرْآنِ الْمُخْبِرَةَ بِمَا وَقَعَ مِنْهُمْ مِنْ التَّوْبَةِ مِنْ الذُّنُوبِ وَمَغْفِرَةِ اللهِ لَهُمْ وَرَفْعِ دَرَجَاتِهِمْ بِذَلِكَ. وَقَوْمٌ أَفْرَطُوا فِي أَنْ ذَكَرُوا عَنْهُمْ مَا دَلَّ الْقُرْآنُ عَلَىٰ بَرَاءَتِهِمْ مِنْهُ وَأَضَافُوا إلَيْهِمْ ذُنُوبًا وَعُيُوبًا نَزَّهَهُمْ اللهُ عَنْهَا. وَهَؤُلاءِ مُخَالِفُونَ لِلْقُرْآنِ وَهَؤُلاءِ مُخَالِفُونَ لِلْقُرْآنِ وَمَنْ اتَّبَعَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ كَانَ مِنْ الأُمَّةِ الْوَسَطِ مُهْتَدِيًا إلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ».

=

=

مجموع الفتاوىٰ (١٥/ ١٥٠).

وقال في موضع آخر - جوابًا علىٰ سؤال: «وَاتَّفَقَ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ أَنَّهُ لا يُكَفَّرُ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ الْمُنَازِعِينَ فِي عِصْمَةِ الأَنْبِيَاءِ، وَالَّذِينَ قَالُوا: إِنَّهُ يَجُوزُ عَلَيْهِمْ الصَّغَائِرُ وَالْخَطَأُ وَلا يُقَرُّونَ عَلَىٰ ذَلِكَ لَمْ يُكَفِّرْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنَّ هَؤُلاءِ يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ مَعْصُومُونَ مِنْ الإِقْرَارِ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَلَوْ كَفَرَ هَؤُلاءِ لَزِمَ تَكْفِيرُ كَثِيرٍ مِنْ الشَّافِعِيَّةِ، وَالْمَالِكِيَّةِ، وَالْحَنَفِيَّةِ، وَالْحَنْبَلِيَّةِ، وَالأَشْعَرِيَّةِ، وَأَهْلِ الْحَدِيثِ، وَالتَّفْسِيرِ، وَالصُّوفِيَّةِ: الَّذِينَ لَيْسُوا كُفَّارًا بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ؛ بَلْ أَئِمَّةُ هَؤُلاءِ يَقُولُونَ بِذَلِك. فَالَّذِي حَكَاهُ- في السؤال- عَنْ الشَّيْخِ أَبِي حَامِدٍ الْغَزَالِيِّ قَدْ قَالَ مِثْلَهُ أَئِمَّةُ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ أَصْحَابُ الْوُجُوهِ الَّذِينَ هُمْ أَعْظَمُ فِي مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ مِنْ أَبِي حَامِدٍ، كَمَا قَالَ الشَّيْخُ أَبُو حَامِدٍ الإسفراييني، الَّذِي هُوَ إِمَامُ الْمَذْهَبِ بَعْدَ الشَّافِعِيِّ، وَابْنُ سُرَيْجٍ فِي تَعْلِيقِهِ: وَذَلِك أَنَّ عِنْدَنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَجُوزُ عَلَيْهِ الْخَطَأُ كَمَا يَجُوزُ عَلَيْنَا وَلَكِنَّ الْفَرَقَ بَيْنَنَا أَنَّا نَقِرُّ عَلَىٰ الْخَطَأِ وَالنَّبِيُّ ﷺ لا يَقِرُّ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا يَسْهُو لِيَسُنَّ، وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّمَا أَسْهُو لِأَسُنَّ لَكُمْ**». وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ قَدْ ذَكَرَهَا فِي أُصُولِ الْفِقْهِ هَذَا الشَّيْخُ أَبُو حَامِدٍ، وَأَبُو الطَّيِّبِ الطبري، وَالشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيّ. وَكَذَلِكَ ذَكَرَهَا بَقِيَّةُ طَوَائِفِ أَهْلِ الْعِلْمِ: مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ، وَالشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَد، وَأَبِي حَنِيفَةَ. وَمِنْهُمْ مَنْ ادَّعَىٰ إِجْمَاعَ السَّلَفِ عَلَىٰ هَذَا الْقَوْلِ، كَمَا ذُكِرَ ذَلِكَ عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ الخطابي

=

حكىٰ الله عن آدم أنّه تاب من خطيئته، وحكىٰ الله عن داود، وحكىٰ الله عن موسىٰ.. يتوب ويتوب ويتوب ويستحي من هذا الذنب.

وحتىٰ يأتي يوم القيامة هؤلاء الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وتطلب منهم الشفاعة، وهو لا يزال ضميره يؤنبه حتىٰ آخر لحظة، تاب، تاب، تاب لكن هذا الإحساس لا يمحىٰ من ضميره؛ يطلبون من آدم الشفاعة فيقول: أنا أذنبت وأخطأت، نفسي نفسي، يستحي من ربّه، يقول: إنّي أستحي من ربّي، ثم يأتون إلىٰ نوح فيقول: أنا أذنبت وأخطأت، نوح ماذا أخطأ؟ دعا علىٰ قومه، اعتبرها خطيئة وهي حقّ، فيستحي أن يشفع.

= وَنَحْوِهِ؛ وَمَعَ هَذَا فَقَدْ اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ أَنَّهُ لا يُكَفَّرُ أَحَدٌ مِنْ هَؤُلاءِ الأَئِمَّةِ، وَمَنْ كَفَّرَهُمْ بِذَلِكَ اسْتَحَقَّ الْعُقُوبَةَ الْغَلِيظَةَ الَّتِي تَزْجُرُهُ وَأَمْثَالَهُ عَنْ تَكْفِيرِ الْمُسْلِمِينَ؛ وَإِنَّمَا يُقَالُ فِي مِثَالِ ذَلِكَ: قَوْلُهُمْ صَوَابٌ أَوْ خَطَأٌ. فَمَنْ وَافَقَهُمْ قَالَ: إنَّ قَوْلَهُمْ الصَّوَابُ. وَمَنْ نَازَعَهُمْ قَالَ: إنَّ قَوْلَهُمْ خَطَأٌ، وَالصَّوَابُ قَوْلُ مُخَالِفِهِمْ» مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ١٠٠-١٠٢).

إبراهيم أخطأ في ذات الله ﷻ ويقول: أذنبت وموسىٰ كذلك يقول أذنبت[1]، أين نحن من هذا الحياء من الله ﷻ.

يا أخي تعيش عمرك علىٰ باطل، حياتك كلها ولا تعالج نفسك، ولا ترجع إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ، ويمكن وراءك ألوف بل ملايين يتبعونك علىٰ هذا الخطأ، فتحمل وزر نفسك وأوزار الآخرين؛ كما قال النبي ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا، وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**»[2].

يا أخي ارحم نفسك، ارحم نفسك، سُنَّ للناس سنّة

---

(1) كما ثبت في حديث الشفاعة من رواية أبي هريرة رضي الله عنه عند أحمد: في المسند ٥/ ٤٣٢(٩٦٢١). والبخاري: برقم (٤٧١٢) ومسلم: برقم (٨٩٤).

(2) رواه أحمد: (٤/ ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩) ومسلم: برقم (١٠١٧). من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

حسنة، أنت لست تشرِّع الآن، لكن أَحْيِ سنة الرسول -عليه الصلاة والسلام-، تكون كأنّك سننت للنّاس سنّة حسنة؛ أشياء قصّر فيها الناس أو ماتت هذه السنّة فأحييتها، الناس إذا أقبلوا عليها وعملوا بها فأنت تكسب أجرها؛ أجرك وأجر من عمل بها إلىٰ يوم القيامة.

وكذا إذا تعلّقت ببدعة وتبعك النّاس عليها، فتحمل وزرك ووزر من عمل بها إلىٰ يوم القيامة.

الشاهد أننا يجب أن نرجع جميعًا إلىٰ الله، وأن نعتصم بكتاب الله، وأن نتبع كتاب الله؛ آيات كثيرة يأمر الله فيها بالاستقامة، آيات كثيرة يأمر فيها الله بالاتّباع، آيات كثيرة يأمر فيها الله رسوله بالاتّباع ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾، ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٠٦]، ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣] ويقول تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠] أوامر كثيرة ونواهٍ كثيرة عن المعصية وعن المخالفات لماذا؟ كتاب الله بين أيدينا وندرسه ونحفّظه أولادنا، وتحفيظ القرآن، لكن أين الآداب؟

نحفظ الألوف والألوف والحفظ مطلوب، لكن أين العمل أين العمل؟ القرآن ألا يدعونا إلىٰ الاجتماع؟! ألا يدعونا إلىٰ الاعتصام بالكتاب والسنّة؟ ألا يدعونا إلىٰ ترك الباطل؟ ألا يدعونا إلىٰ ترك البدع؟ ألا يدعونا إلىٰ محاربة الشرك والضلال؟

نتفقه في دين الله ويحاول كل واحد أن يعمل في نفسه ويحاول أن يعلّم أسرته ويحاول أن يربّي الناس في مدرسته علىٰ هذا المنهج وعلىٰ هذه العقيدة التي جاء بها جميع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، ويحذّرهم من الشرك دعاء غير له، والذبح لغير الله، والاستغاثة بغير الله إلىٰ آخره، تجد دعاة يملؤون الدنيا، لكن هذه ليست من المنكرات عندهم، ماذا استفاد الناس منك وأنت تقرّهم علىٰ الباطل؟

ما تزيدهم إلّا ضلالًا ولا تزيدهم إلّا غثائية، ولهذا كثرت الدعوات في العالَم الإسلامي من هنا وهناك وكَثُرَت الأحزاب، واللهِ لا يزداد الناس إلّا بلاءً، لماذا؟ لأنّهم ما سلكوا طريق الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- في الإصلاح؛

إصلاح الأنبياء يبدأ بماذا؟ بالإصلاح العقائدي؛ يأتي النبي قومه وعندهم شرك، عندهم ضلالات، فساد طويل عريض في الحياة كلّها يبدؤون بماذا؟ يبدؤون بإصلاح العقيدة؛ يأتي إلىٰ قوم يدعون غير الله، يذبحون لغير الله يتعلقون بالأصنام، يعبدون الملائكة، يعبدون لأشجار، يعبدون الأنبياء إلىٰ آخره، فيبدأ بتصحيح العقيدة، يصحح العقيدة.

انظر إلىٰ العالَم الإسلامي الآن، اذهب إلىٰ مصر، اذهب إلىٰ السودان، اذهب إلىٰ باكستان ترىٰ العجائب، في هذه البلاد مُحِيت القبور -ولله الحمد- ولكن دعوات الآن هيّأت الناس لهذه الأوضاع المردية، وربما يستنكرون التركيز علىٰ الدعوة إلىٰ التوحيد.

يا أخي الرسول -عليه الصلاة والسلام- كان بين الفينة والفينة يبايع أصحابه علىٰ ألّا يشركوا بالله شيئًا، يبايع أبا بكر وعمر وابن مسعود وعبادة بن الصامت وغيرهم، يبايعهم

علىٰ ألّا يشركوا بالله شيئًا وأن يقيموا الصلاة وإلىٰ آخره[1]، كيف يبايع أبا بكر وعمر؟! لأنّ العقيدة دائمًا تحتاج إلىٰ إذكاء، إلىٰ تجديد، إلىٰ تنبيه.

العقيدة هذه لابد أن نغرسها في أنفسنا وفي أوساطنا ونذكِّر بها.

كيف يبايع الرسول ﷺ أصحابه علىٰ ألّا يشركوا بالله شيئا؟

الآن لو قلت لواحد: تعالىٰ أبايعك علىٰ ألّا تشرك بالله شيئًا كيف يفعلون؟!!

---

(1) منها ما رواه مسلم في صحيحه برقم (١٠٤٣) من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه قال: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ تِسْعَةً، أَوْ ثَمَانِيَةً، أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: **أَلاَ تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ**؟ وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: **أَلاَ تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ** ؟ فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: **أَلاَ تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ** ؟ قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا، وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَعَلاَمَ نُبَايِعُكَ ؟ قَالَ: **عَلَىٰ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَتُطِيعُوا، وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً: وَلاَ تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا**. فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ، فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ».

لو وُجِد الآن داعية يحذّرهم من الشرك، يقولون: وهل نحن مشركون؟! كيف أبو بكر وعمر يبايعون علىٰ ألّا يشركوا بالله شيئًا وأنتم لا تُحَذّرون من الشرك؟!

إبراهيم عليه السلام يقول: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] إبراهيم أبو الأنبياء وخليل الرحمن يقول: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [إبراهيم: ٣٥-٣٦] -عليه الصلاة والسلام-.

وهو يعلم أنّ أبناءه سيأتي فيهم الأنبياء الكثير ومع هذا يخاف، كيف نأمن علىٰ أنفسنا؟

«**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ! ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ**»[1] رسول الله -

(1) قال أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يكثر من قوله: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ! ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ**». فقال الصحابة رضي الله عنهم: أتخاف علينا -يا رسول الله؟ قال: «**نَعَم، كَيْفَ لاَ وَالْقُلُوبُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ؟!**» أخرجه أحمد ٣/ ١١٢(١٢١٣١) و٣/ ٢٥٧ (١٣٧٣١) والترمذي؛ برقم (٢١٤٠) وقال: «وهذا حديثٌ حسن»، و ابن ماجه؛ برقم (٣٨٣٤)، و صححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة(١/ ٨٤) برقم (٢٢٥).

عليه الصلاة والسلام- يقول هذا، ويعلّم أصحابه أن يقولوا هذا، نحن الآن كأن عندنا ضمانًا أننا لا نقع في الشرك ولا في النفاق.

كان الصحابة يخافون علىٰ أنفسهم النِّفاق يقول ابن أبي مليكة: «**أدركت ثلاثين من أصحاب محمد كلهم يخاف علىٰ نفسه النّفاق**»[1]، الإنسان لابد أن يخاف من النّفاق، يخاف من الوقوع في الشرك، يخاف أن يزيغ قلبه؛ كما في دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] ندعو الله ﷻ أن يحفظ قلوبنا، ونبذل الأسباب التي ترسّخ الإيمان في نفوسنا، نبذل الأسباب؛ من طاعة الله، من الاستسلام لله ﷻ، من الاستغفار لله ﷻ في الليل والنّهار وبالأسحار، ونضرع إليه دائمًا أن يثبتنا علىٰ الإسلام، وأن يهدي الله علىٰ أيدينا من يريد هدايته ﷻ.

ولابد يا إخوة من إحياء المحبّة والمودّة والأخوّة في

---

(1) رواه البخاري في صحيحه معلّقا مجزومًا به: كتاب الإيمان؛باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر. ووصله في تاريخه الكبير (٥/ ١٣٧) برقم (٤١٢) ورواه الخلال في السنة برقم ().

أوساط المسلمين علىٰ أساس الكتاب والسنّة وليس علىٰ أساس النّفاق والمجاملات، علىٰ أساس الحقّ، أحي الحقّ في نفسك وآخِ عليه الناس وادع إليه، ولابد من هذا التلاحم وهذا التآخي بين المسلمين ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣] وما الذي يفرّقنا؟ الأهواء؛ الذي يفرق: الأهواء، أنت لك رأي وأنا لي رأي، وأنت تتبع فلانًا وأنا أتبع فلانًا، ثمّ لا نحكّم كتاب الله؛ جاءت حينئذٍ الفرقة وجاءت العداوة وجاءت البغضاء وجاء سفك الدماء وجاء التفرق والضياع إلىٰ الحالة التي وصل إليها المسلمون.

فأسأل الله تبارك وتعالىٰ أن يجمع المسلمين علىٰ الحقّ، علىٰ كتاب الله وعلىٰ سنّة رسول الله، وأن يجمع شباب هذا البلد خاصّة علىٰ كتاب الله وعلىٰ سنّة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، وعليهم أن يتذكّروا حال الجزيرة قبل أن تأتي الدعوة السلفية علىٰ يد الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أن يتذكروا التفرق والتمزق والضياع حتىٰ إن بعضهم وصل به الجهل أنّه ينكر البعث، دعْ عنك ترك الصلاة وترك الزكاة واللعب إلىٰ آخره، فجمعهم الله علىٰ كتاب الله

وعلىٰ سنّة رسول الله ﷺ وعلىٰ هذه العقيدة الصحيحة.

فيجب يا إخوة أن نتذكّر هذا الواقع المظلم الأول والواقع المضيء الثاني، ونرجع إليه إذا حصل منا مجافاة أو نفرة عن هذا أو تنفير عنه، أن نرجع إليه وأن نتآخىٰ وأن ندرك أنّ أعداء الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها من الكفار واليهود والعلمانيون كلهم ما يتكالبون إلّا علىٰ هذه دعوة، الدعوة السلفية التي جددها الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأنّهم يعرفون أنّها هي الإسلام الحقّ، لا تصدّقوا أن بين الروافض وبين اليهود والنصارىٰ عداوة أبدًا، كل هذا كذب وضحك علىٰ الناس، لا تصدّقوا هذا التّهريج الكاذب، كلّ هذا من ذرّ الرماد في العيون.

لا يُعادي اليهودُ والنصارىٰ إلّا هذا المنهج، لأن فيهم فلاسفةً ومفكّرين ومستشرقين يدرسون الإسلام ويعرفون من هي الفرقة التي يمكن أن تكون ذَنَبًا لنا وعونًا لنا علىٰ الإسلام والمسلمين جميعًا، ويعرفون من هي الجماعة التي علىٰ الحق ولا يمكن أن تنقاد لهم، ولا يجدون هذا إلّا عند أتباع

المنهج السلفي.

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾

نسأل الله أن يجمع قلوبنا جميعًا علىٰ كتابه وعلىٰ سنّة نبيه، وأن يرينا عِيانًا ما نتمناه من عزّة الإسلام وعزّة المسلمين واجتماعهم في صعيد واحد علىٰ كتاب الله ﷻ وعلىٰ سنّة رسول الله ﷺ، أسأل الله أن يحقق ذلك. وادعوا الله جميعًا في خلواتكم وفي مساجدكم أن يحقق ذلك.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

قام بتفريغ هذه الكلمة وعرضها علىٰ الشيخ حفظه الله أخوكم

فواز الجزائري

ليلة السبت ٢/ ٣/ ١٤٢٧هـ

اعتنىٰ بهذه المادة

دار الميراث النبوي للنشر والتوزيع بالجزائر

الفهرس

مقدمة ٣
لا علاج للأمة إلا بالرجوع إلىٰ كتاب الله ٤
أين التوحيد الصحيح؟ ٥
لابد أن نعتصم بحبل الله ٨
عليكم بالتوحيد الذي حواه القرآن ٩
هل نحن وقافون عند كتاب الله ١٤
لابد من الرجوع والتوبة عند الخطأ ١٥
لابد من التفقه في دين الله ٢٤
الحث علىٰ التوحيد والتحذير من الشرك ٢٥
كان الصحابة يخافون علىٰ أنفسهم من النفاق ٢٨
لابد من إحياء روح الأخوة علىٰ أساس الكتاب والسنة .. ٢٩
الفهرس ٣٢

* * *

This document was created with Win2PDF available at http://www.win2pdf.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.
This page will not be added after purchasing Win2PDF.